

## فوضى قمع الحريات... بين صحافي لبناني ومواطن قطري

دلال البزري

أحوالنا المعاصرة لم تبخل على سلطاتنا الرسمية بأحداث مكنتها من الاستمرار في الوجود وفضل هباتها اليها كانت 'القضية'، او اي قضية من القضايا. لذلك كانت تحبب محاولات المواطنين للتعبير عن رأيهم باسم القضية، فتغرف من خزان ادبياتها الحجج الممكنة، وعلى رأسها اولوية القضية على ما عداها وقداستها، فتضفي بعض المعنى على قمع الحرية، مؤمنة بذلك شرطا اساسيا لبقائها على قيد السلطة .

وهذا جزء مما اعتدنا عليه من خطاب القمع الرسمي المشفوع بقضية. فصرنا نعرف الخائن من المتخاذل، والمستسلم من المتآمر والارهابي من الرجعي. وكلها صفات التصقت بأجيال من المواطنين ذهبوا الى السجون لأنهم خرخوا الاجماع حول القضية، او اي قضية من القضايا، جرى الاستعانة بها لمواجهة مجريات الاحوال العامة وطوارئها.

ما زالت السلطات العربية الرسمية وفيه لهذا النهج، بل هو الطاعي على ما تبقى من المعاني التي تلبسها لقمعها. ولكن يحصل احيانا ان يفوتها الوعي، فتقوم بملاحقة وتهديد، لا بل سجن معارضيهها، مستعينة بحجج تناهض قضيتها نفسها .

هنا مثلان عن لحظة الغفلة هذه :

الأول من لبنان: حيث كتب صحافي بارز من اصل فلسطيني، واسمه سمير قصير، مقالا تعرض فيه للجهة الامنية المنوطة بالتوجهات السورية في لبنان. والمعروف عن سورية استمرار عدائها لإسرائيل، والذي تجدد أخيرا بانضمام المسار الفلسطيني اليها، بعد تلازم مديد بينها وبين المسار اللبناني. اذا الجهة المنوطة بهكذا تآزر للمسارات، قومية التوجه. ولكن بماذا تحججت لدى ملاحظتها سمير قصير؟ أي معنى اعطت لمنعه من الاستمرار في التعبير عن موقفه المعارض لها؟ سحبت جواز سفره اللبناني لتتحقق من كونه 'غير مزور'. فكانت معايرتها له بأصله الفلسطيني، ومن احتمال كونه دخيلا على الهوية اللبنانية الاصلية هو سيفها المسلط فوق رقبته. إذ اعادت اليه جوازه ولكن 'موقتا'، ريثما يرتعد سمير قصير خوفا قبل ان يتجرأ على التفكير في ابداء رأيه في سياستها، قومية التوجه .

في هذه الواقعة المحددة، نحن امام جهة بذلت الغالي والنفيس من اجل تكريس بطولتها في ميدان تحرير فلسطين. ولكنها مستعدة ان تسحب سيف داموقليطس بوجه أي فلسطيني يتجرأ على نقد سياستها. وذلك بأن تهدده بما قامت به إسرائيل ضد اهله وانباء شعبه، اي تشريده على اعتاب هذه الدنيا، او يسكت.

المثل الثاني من قطر: فقد اشارت الصحف القطرية منذ اسبوع الى ان السلطات القطرية اطلقت سراح المواطن عبد الرحمن بن عمير بعدما سجنته لأكثر من سنتين، إثر قيادته لحملة ضد 'ولاية النساء'، اي مشاركتهن للمرة الاولى في الانتخابات البلدية التي شهدتها قطر في حزيران (يونيو) 1998. اتسمت حملة هذا الاستاذ الجامعي بكل سمات العمل السلمي الذي يحترم 'المؤسسات' القائمة، بل يتوجه اليها: فهي قادتته الى صوغ عريضة وجمع توقيع شخصيات قطرية (بلغت الـ 18)، والتوجه الى مجلس الشورى لتسليمها اياها. اي ان ابن عمير لم يكن 'إرهابيا'، رافعا سلاح الثورة السوداء ضد نظم بلاده وهيئاتها الشرعية لكنه مع ذلك اعتقل وحرّم من الحرية ثلاث سنوات متتالية. كل هذا بسبب رأيه، في ان 'فتح المجال للمرأة على مصراعيه للمشاركة في مختلف الاعمال بلا استثناء، بسبب الاختلاط المحرم ويؤدي الى خسارة المجتمع دور المرأة الحقيقي واستبدالها لتصبح رجلا آخر'.

وكان اعتقاله هذا باسم فكرة نسوية عامة، غير معلنة بالضرورة، تشجع النساء على الاهتمام بالشأن العام، وتندرج ضمن اختراع العصر اي الحدائث فمن الواضح ان ابن عمير إسلامي التوجه، اي انه 'ماضوي'، 'ظلامي'. اما خصومه، فهم في حدهم الادنى دعاة حدائث، منجذبون الى فكرة مشاركة النساء في السياسة. لكن بن عمير كان يعبر عن رأيه ومن الواضح ان قسما يسيرا من المجتمع أخذ بهذا الرأي، بدليل ان ولا قطرية واحدة نجحت في الانتخابات التي اثارت حملة بن عمير، مما يعني بأنه لم يكن يغرد وحيدا .

والسلطة، المتحمسة لفكرة تحرير النساء الحدائرية، كان حري بها ان تتحمس ايضا، للشق الاساسي الذي انبنى عليه هذا التحرر، اي الديموقراطية، وأضعف ايمانها، الاخذ بالأراء الاخرى خصوصا اذا كان جزء لا بأس به من المجتمع يؤمن بهذه الآراء. وحرى بها بالتالي ان تشجع الاستاذ الجامعي الذي حمل هذا الرأي على بلورة رأيه، ان تصغي اليه وتنظم التحوار حوله، وإلا بنت تحرير النساء واشترaken في السياسة، على القمع، مكررة ما بنته هي ونظيراتها من اجل استقلالات الاوطان وتقدمها

يؤشر المثالن اللبناني والقطري الى قمع من نوع خاص، مصدره الفوضى الضاربة في المعاني، فوضى عائدة ربما الى زيادة تعقيدات عالمنا ومشكلاته، فيما ليس في عقل ولا في يد سلطاتنا الرسمية حيلة لتسميتها اصلا. لذلك تستسلم للمعاني المتضاربة، لفوضى المعاني، فتؤخذ على حين غرة من برامجها الاصلية، وتلجأ الى فوضى قمع الحريات، متسببة بذلك في إحياء مناخ من القمع الشامل، يشبه القمع الشمولي، الا في نقطة واحدة: انك في الاول تعرف مصدره، فتتعلم كيف تداريه. اما في الثاني فلا تستطيع ان تدركه إلا بشق الأنفس، وحيانا بعد فوات الأوان.

الموضوع :عام

المصدر :الحياة

---